Université Ibn Tofaïl
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – القنيطرة
Faculté des Sciences Humaines et Sociales – Kenitra
شعبة التاريخ والحضارة

الفصل: الرابع

وحدة: تاريخ الشرق الأقصى

الأستاذ: محمد منقاشي

المحاضرة رقم: 2

السنة الجامعية

2021-2020

جامعة ابن طفيل	السنة الجامعية: 2021-2020
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية	وحدة تاريخ الشرق الأقصى
شعبة التاريخ والحضارة	الأستاذ: محمد منقاشي
الفصل الرابع	**المحاضرة رقم: 2**

يقوم التحديث في اليابان على التطلع إلى ما وقع في بلدان الغرب الأوروبي، وإيفاد البعثات التعليمية، وإرسال الرحلات الاستكشافية إلى أوروبا، وهذا ما دفع إلى محاولة الإجابة عن السؤال المحير: لماذا استطاعت اليابان، والتي كان حالها مثل حالنا، أن تنتقل بشكل جعلها تحدث القطيعة مع الأزمنة السابقة، وأن تنهض في حين ظلت مصر، على الخصوص، عاجزة عن اللحاق بالركب الحداثي؟

إن هذه الأسئلة، هي محور وركيزة هذه الوحدة (الشرق الأقصى: اليابان نموذجا)، و التي تهدف إلى البحث في الأسباب البعيدة و القريبة التي جعلت الإصلاحات غير ذات نتائج، و أخرى حققت أهدافها.

سنحاول الإجابة عن هذه الإشكالية باعتماد مقارِنة تعتمد التفسير الثقافي بعيد المدى.

إن التخلف والتقدم لا يحدثان فجأة، بين عشية و ضحاها، فالبحث في أسباب النهضة الأوروبية يتطلب من الباحث الغور في تاريخ أوروبا، و متابعة مسارها خلال القرنين 12م و13م (على الأقل منذ نشأة المدن الإيطالية: جنوة، فلورنسا ...)، و نفس الأمر ينطبق على اليابان. فلا يكفي، في محاولة تفسير نجاح اليابان، الاقتصار على ذكاء ونباهة زعماء الإصلاح، و صواب القرارات التي اتخذها زعماء اليابان، فلولا وجود أرضية خصبة (عقلية الإنسان الياباني)، لما أثمرت جهود أولئك الزعماء في نجاح التجربة التحديثية. و في نفس الإطار، لا يمكن إرجاع فشل وإخفاق محاولات محمد علي للإصلاح إلى عجز خلفائه في تحقيق مشروعهم النهضوي، أو مسؤولية التدخل الأجنبي، فهناك أسباب أخرى شتى يجب على الباحثين في التاريخ و العلوم الاجتماعية (السوسيولوجيا و الأنثربولوجيا) البحث في جذور التاريخ المغربي – مثلا – قبل الإصلاحات، و البحث كذلك في طبيعة الإصلاحات، ونوعيتها ومصدرها، و الهدف منها.

سنسلك للإجابة عن هذا السؤال «لماذا استطاعت اليابان، في منتصف القرن 19م، أن تحدث قطيعة مع الأزمنة السابقة، في حين ظلت مصر والمغرب متخلفين؟» طريقة متأنية لدراسة تاريخ اليابان منذ نشأة الإمبراطورية اليابانية، و إدراك مقومات ثقافة اليابان (التاريخ الثقافي)، و تقييم مسارها التاريخي، ثم استخلاص النتائج والأسباب

التي ساهمت، بشكل مباشر أو غير مباشر، في مسألة التحديث في اليابان، إذ كان من الضروري، للإجابة عن هذه الأسئلة المطروحة، القيام بتركيب فسيفساء تاريخ اليابان المعقد، والحصول على الحد الأدنى من المادة المعرفية (المصادر و المراجع و الوثائق التاريخية)، و تفكيك المؤسسات الثقافية، و التنظيمات الاجتماعية التي لا تنتمي بالضرورة إلى الحقبة نفسها، أو الثقافة نفسها، أو المجال نفسه .

إن الفترة التاريخية التي سنركز عليها، هي الفترة الحديثة في تاريخ اليابان، و التي تمتد من منتصف القرن 16م (1568م)، إلى قيام إصلاحات ميجي (1868م)، وتعرف هذه الفترة بعصر توكوغاوا نسبة إلى أسرة الساموراي، التي حكمت ابتداء من 1603م، كما تعرف هذه الفترة الحديثة أيضا بعصر إيدو (طوكيو) نسبة إلى العاصمة التي اتخذتها أسرة توكوغاوا عاصمة لها.

تميزت هذه الفترة بالاستقرار والأمن الاجتماعي. فبعد قرن من الحرب الأهلية، نعمت اليابان بفترة سلم دامت زهاء قرنين ونصف، تبنى خلالها الحكام مبادئ الكونفوشيوسية لتحقيق توازن اجتماعي وسياسي، بالإضافة على فرض عزلة وطنية حمت اليابان من التدخل الأجنبي.

تبلور الأمن والاستقرار الاجتماعي في تطور اقتصادي ملحوظ، ونمو ديمغرافي غير مسبوق، وانتشار عمراني، وتوسع المعرفة بالقراءة والكتابة، وازدهار دور النشر، بالإضافة إلى ازدهار ثقافة شعبية تمثلت في المسرح ومختلف فنون التعبير الأدبي والفني. واعتبارا لأهمية هذه الفترة في الإعداد و التهيئة للمجتمع الياباني لتقبل التحديث في القرن 19م، ابتكر المؤرخون اليابانيون مفهوم كينسيي (Kinsei) وقد ترجم هذا المفهوم في الكتابات المرتبطة باليابان باللغة الإنجليزية بـ Early Modern ، وهو ما يمكن أن نترجمه إلى العربية بـ "بداية التحديث " أو " التحديث المبكر ".

يرى الباحثون أن هذه المرحلة (القرن 19م) شكلت مرحلة مهمة لا يمكن إغفالها عند البحث في أسباب نجاح إصلاحات ميجي، والانتقال السريع إلى الحداثة. وتشكل هذه المرحلة القاعدة الأساسية التي انطلق منها اليابانيون ليلحقوا بركب الحضارة الغربية.

يجب في هذا السياق التوقف في البداية عند المجال الجغرافي، والمرجعيات الثقافية، والتطورات التي عرفها المجتمع الياباني حتى نهاية القرن 16م، والتي شكلت في مجملها ومجموعها تمهيدا ضروريا لفهم تاريخ الفترة اللاحقة (القرن

19م). إن سؤال التحديث في اليابان، ونجاح تجربة هذا البلد يجب البحث عنها في قضية التجانس الثقافي والنظام الفيودالي الياباني، وعلاقة اليابان بالغرب في مرحلة لاحقة، ودراسة الإجراءات الجريئة التي اتخذها الحكام اليابانيون في القرن 16م.

كما يجب التوقف عند المحدد الإيكولوجي، الذي أكسب اليابانيين ارتباطا قويا بالمجال الجغرافي وصل على حد التقديس، وفي بلورة شخصية تتسم بالصرامة والانضباط وبحس جمالي مرهف، ومعتقد ديني يقدس الإمبراطور. ففي أرضية هذا المجال الجغرافي المنعزل نبتت وترعرعت ثقافة قومية ذات ملامح قوية يصعب محوها، ثقافة تنفتح على ثقافة الآخر، غير أنها ثقافة تنتقي وتأخذ ما تراه ملائما لها وتكيفه بمعطياتها، ثقافة تتأثر بالثقافات الوافدة، غير أنها لا تنصهر فيها (الانصهار الثقافي)، أو تفقد شيئا من أصالتها.

وفي تعامل اليابانيين مع الثقافة الصينية خير دليل، ففي القرن 18م، أي بعد مرور ما يناهز 12 قرنا على حضور الثقافة الصينية في المجتمع الياباني، برهنت الثقافة القومية على حيويتها وصمودها، إذ كانت الأساس لتيار قومي ياباني يدعو ويطالب بالتخلي عن الثقافة الصينية وإحياء القيم الأصيلة التي شكلت جوهر إصلاحات ميجي، التي دعت إلى استعادة الإمبراطور لسلطاته.

كما يبدو التأثير الإيكولوجي (المجالي، الطبيعي) واضحا أيضا في صعوبة خضوع الجزر اليابانية لحكم مركزي قوي، وذلك بسبب الطبيعة الجبلية وصعوبة المواصلات. فعلى الرغم من وقوع اليابان في النطاق الأسيوي، فإنها تميزت ضمن هذا النطاق بخصوصيات جعلتها تنفرد مقارنة مع دول آسيا، والشرق عموما، بنسق فيودالي قريب بعض الشيء من ذلك الذي عرفته أوروبا الغربية، وهو ما يفيدنا في تفسير نجاح اليابانيين في عملية التحديث خلال القرن 19م.

أما بالنسبة للمحدد الديني، فأهم ما يميز اليابان عن كثير من الدول الشرقية، هو عدم خضوع اليابانيين لديانة ذات تشريعات صارمة تقيد حرية الإنسان وتفرض عليه سلوكا معينا، فديانة الشنتو هي استرضاء لقوى الطبيعة لتحقيق رفاهية الإنسان، بينما اتخذت البوذية في اليابان صيغة هدفها تهدئة أرواح الموتى ومنعها من العودة ثانية إلى دنيا الآلام. فهاتان الديانتان اللتان تعايشتا في المجتمع الياباني لم تشكل أي منها معايير تقاس بها، أو تخضع لها القرارات السياسية.